



### الايقونة والكتاب المقدس

تشكل الايقونة احدى العلامات المميزة للكنيسة الارثوذكسية وتلعب دوراً مهماً في العبادة والطقوس. لكن ثمة من يحاول نفي اهمية الايقونة والنيل من قيمتها مثل شهود يهوه وغيرهم، وذلك بحجة ان الكتاب المقدس لا يسمح برسم الايقونات. ويستندون بذلك على الوصية الثانية من الوصايا العشر: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في من تحت الارض" (خر ٢٠: ٤). لكننا نقرأ في سفر الخروج نفسه كلاماً مختلفاً. فعند اعطاء موسى التعليمات حول بناء خيمة الاجتماع، وبالتحديد حول تابوت العهد الذي يوضع فيه لوحا الشهادة اي الوصايا العشر، يقول الله لموسى: "وتصنع غطاءً (للتابوت) من ذهب طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبيين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء. فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا، وكروباً آخر على الطرف من هناك، من الغطاء تصنعون الكروبيين على طرفيه. ويكون باسطين اجنحتهما الى فوق مظللين باجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد الى الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبيين" (خر ٢٥: ١٧-٢٠). يطلب الله من موسى ان يصنع تماثيلين للكروبيين (رتبة من رتب الملائكة في الشاروبيم والسيرافيم) مع انه في النص الاول حرّم اقامة التماثيل والصور. هل الله يناقض نفسه؟ حاشا. اذاً علينا ان نفهم فعلاً مضمون الوصية الثانية والدافع لهذه الوصية.

من المهم ان نشير في بدء كلامنا ان شهود يهوه، وفي محاولة لتضليلنا، يستعلمون نص الوصية الثانية مبتوراً. النص الكتابي الكامل هو: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة... لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ" (خر ٢٠: ٤-٥). انهم يغفلون الآية الخامسة التي تقول "لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ" ويتوقفون عند الآية الرابعة. سبب المنع اذاً كي لا يسجد الشعب للتماثيل ويعبدها. هذا الخطر حقيقي وواقعي. فبعدما اخرج الله الشعب العبراني من مصر ارض العبودية، وبعدما عبروا البحر الاحمر واستقروا في برية سيناء، طلب الله من موسى ان يصعد الى رأس الجبل (خر ١٩: ٢٠) لكي يعطيه الوصايا العشر والاحكام الاخرى والشرائع والتعليمات بشأن خيمة الاجتماع. فصعد موسى الى الجبل "ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم واصنع لنا آلهة تسير امامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه. فقال

لهم هرون انزعوا اقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم واتوني بها. فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هرون. فأخذ ذلك من ايديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر. فلما نظر هرون بنى مذبحاً امامه. ونادى هرون وقال غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة" (خر ٣٢: ١-٦). لقد اعتبروا ان هذا التمثال هو الاله الذي اخرجهم من ارض مصر. خطيئة الشعب اذا انهم استبدلوا الههم الله، بالآلهة الوثنية التمثال المذهب.

حدث الخروج من مصر واجتياز البحر الاحمر مهم بالنسبة لعلاقة الله مع شعبه، لدرجة ان الوصية الاولى تقول: "انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة اخرى امامي" (خر ٢٠: ٢-٣). الله في علاقته مع الشعب قيّد نفسه بحدث تاريخي معيّن هو الخروج من ارض مصر وصار الله معروفاً من شعبه من خلال هذا الحدث العظيم. لذلك اعلن في الوصية الاولى انه هو اله الخروج ولا اله غيره، وتبعته مباشرة الوصية الثانية تحرّم اقامة التماثيل والصور لكي لا يسجد لها الشعب ويعبدها على انها هي الآلهة التي اخرجته من مصر. لان هذا ما فعله الشعب عندما سجدوا للتمثال المذهب. هذا الارتباط بين الله والخروج ورد كثيراً في كتابات الانبياء حيث يذم الله شعبه ويؤنبهم لانهم نسوا انه هو الذي اخرجهم من ارض مصر (حزقيال الاصحاح ٢٠).

إذا سبب المنع هو الخطر الكامن في السجود للتماثيل وعبادتها. وهذا ما لا ينطبق على مفهوم الايقونة في الكنيسة. نكتفي بالقول ان من يتهمنا بعبادة الايقونة يجهل حقيقة ايماننا. نحن نكرّم الايقونات ونعبد من الرب صوراً عليها ولا نسجد للخشب والالوان. ومن يعتقد عكس ذلك فهو جاهل ايماننا.

**+ نص اعتراف احد الاساقفة المحاربي الايقونات يعلن فيه توبته ويلتمس قبوله مجدداً.**

ثيودوسيوس المسيحي الحقير الى المجمع المسكوني المقدس.

اني اعترف بأني اقبل واکرم في الدرجة الاولى الصورة الطاهرة لربنا يسوع المسيح الهنا الحقيقي، والصورة المقدسة للتي ولدته بدون زرع والدة الاله الكلية القداسة واطلب عونها وحمائتها وشفاعتها كل يوم وكل ليلة لتكون عضدي انا الخاطيء لان لها دالة لدى المولود منها المسيح الهنا. وهكذا ايضاً اقبل واکرم صور الرسل القديسين الكليي المديح والانبياء والشهداء والآباء ساكني القفر، لا اكرّمها كآلهة (لا سمح الله)، بل اطلب من القديسين

الذين تمثلهم الايقونات ان يتشفعوا بي امام الله ليؤهلني ان اجد رحمة لديه في يوم الدينونة، لاني بهذا اظهر بأجلى وضوح المحبة والميل في نفسي نحوهم منذ البدء، وهكذا اكرم واعظم واسجد لبقايا القديسين لانها بقايا الذين جاهدوا من اجل المسيح والذين نالوا منه نعمة شفاء الامراض والوجاع وطرد الابالسة كما تسلمت الكنيسة المسيحية من الرسل والآباء القديسين من اقدم الازمنة حتى الآن. زد على ذلك انني موافق كل الموافقة على تعليق الصور في كنائس المؤمنين ولا سيما صورة ربنا يسوع المسيح وصورة والدة الاله الكلية القداسة المصنوعة من اية مادة من ذهب او فضة ومن كل لون ليتسنى ظهور سر تجسده لكل الناس، كما يجوز ان تمثل بالصور سير القديسين والانبياء والشهداء وتعلن هكذا جهاداتهم وعذاباتهم بايجاز لتعليم الشعب، ولا سيما من لم يتعلم منهم، واثارة مشاعرهم التقوية.

ان الشعب عندما يتقدم لتحية هالات وصور الاباطرة بالشمع والبخور عندما ترسل هذه الى المدن والقرى والساكن فهو لا يكرم اللوحة المغطاة بالشمع ولكنه يكرم الامبراطور نفسه ممثلاً فيها، فكم بالأولى يليق بنا ان نعلق ونرفع في كنائس المسيح الهنا صورة الله مخلصنا وصورة والدته البريئة من العيب وصور الآباء والنساك القديسين المطوبين؟ على مثال ما قال القديس باسيليوس: "ان الكتاب والمصورين يعرضون علينا وصف الاعمال العظيمة في الحرب، الاولون باقلامهم واقوالهم والآخرين بريشتهم، وكل منهم يثير في الجماهير روح الشجاعة"، وكما قال ايضاً: "كم من الجهد بذلتم ليتمكنكم ان تجدوا شفيحاً لكم من القديسين لدى الرب؟".

والذهبي الفم يقول: "ان محبة القديسين لا تنقص بموتهم ولا تنتهي بخروجهم من هذا العالم بل انهم بعد موتهم يكونون اعظم قدرة (على الشفاعة) منهم وهم احياء". وهناك ما لا يحصى من مثل هذه الاقوال، فأسألكم ايها القديسون وأبتهل اليكم، انني قد خطت امام السماء وامامكم، اقبلوني كما قبل الله محب الخلاعة والزانية واللص، فنتشوا عني كما فتش المسيح عن الخروف الضال وحمله على منكبيه، وهكذا يمكن ان يكون فرح عظيم لدى الله وملائكته من اجل توبتي وخلصي بتوسلاتكم ايها السادة القديسون، وليكن كل من لا يكرم الصور المقدسة مبسلاً وليبسل الذين يجدفون ضد الصور الموقرة وكل من يتجاسر على التهجم والتجديف على الايقونات المكرمة ويقول عنها انها اصنام، والمتطاولون على المسيحية اعني محاربي الايقونات، وكل من لا يعلم باجتهاد الشعب المحب المسيح وجوب التكريم والسجود للايقونات المقدسة اي صور القديسين الذين ارضوا الله في الاجيال المتعاقبة، وليبسل كل من يرتاب في فكره ولا يعترف بكل قلبه بوجوب تكريم الايقونات المقدسة.

عن مجموعة الشرع الكنسي

## + من تعليم الكنيسة حول الايقونات

ان بين الاصنام والايقونات فرقاً شاسعاً. فالأصنام هي مما تصوّره واخترعه الناس كما يقول الرسول: "نحن نعلم ان الوثن ليس بشيء في العالم" (١ كور ٨: ٤)، اما الايقونة فتمثل شيئاً حقيقياً وُجد فعلاً. مثال ذلك ايقونة مخلصنا يسوع المسيح وايقونة القديسة العذراء مريم وصور جميع القديسين. ثم ان الوثنيين كانوا يعبدون الاصنام كأنها آلهة ويقدمون لها الذبائح معتقدين ان معدن الذهب والفضة هو الله كما اعتقد نبوخذنصر.

ولكننا في تكريمنا وسجودنا للايقونات لا نسجد للالوان ولا للخشب او غير ذلك من المواد المصنوعة منه ولكننا نمجد بالتكريم الكائنات المقدسة الذين تمثلهم هذه الايقونات فنصوّر حضورهم باذهاننا كأننا نراهم باعيننا. ولهذا السبب نكرم صورة الصلب وبتصوّر بعقولنا المسيح معلقاً على الصليب لاجل خلاصنا فنحني رؤوسنا لما تمثله الصورة ونركع شاكرين، وعلى هذا المثال نكرم صورة العذراء مريم اذ نرفع عقولنا اليها الى والدة الاله الكلية القداسة حانين الرأس والركب امامها وداعين اياها اكرم من كل الرجال والنساء كما دعاها رئيس الملائكة جبرائيل . ثم ان تكريم الصور المقدسة على نحو ما تسلمته الكنيسة الارثوذكسية لا يخالف على الاطلاق هذه الوصية.

فان هذا التكريم هو غير ما نقدمه لله، ولا يقدمه الارثوذكسيون للفن بل للقديسين انفسهم الممثلين بتلك الايقونات. ان الكروبيم الذي كان يظل كرسى الرحمة ممثلاً الكروبيم الحقيقي المائل في حضرة الله في السماء كان الاسرائيليون يكرمونه دون ان يخالفوا وصية الله كما كانوا يقدمون لتابوت الشهادة (٢ صمو ٦: ١٣) التكريم اللائق دون ان يخطأوا او ينقضوا هذه الوصية بل كانوا يمجدون الله تمجيداً اعظم. من كل ما تقدّم يتضح لنا اننا في تكريمنا الايقونات المقدسة لا نخالف هذه الوصية من الوصايا العشر ولكننا نسبح الله الذي هو "عجيب في قديسيه" (مز ٦٨: ٦٧ (٣٥)). ولكن يجب ان نعنى عناية تامة بأن يظهر على كل صورة اسم القديس الذي تمثله ليسهل على من يقدم الاحرام اللائق امام الايقونة ان يصيب الهدف في هذا التكريم.

ولتأيد واجب تكريم الصور الشريفة بصورة جلية ابسلت كنيسة الله في المجمع المسكوني السابع كل القائمين بمحاربة الايقونات المقدسة ووضع لذلك القانون التاسع للمجمع.

عن مجموعة الشرع الكنسي

## + الأيقونة

ليست الأيقونة قطعة فنية نزين بها الجدران ونتأملها كما نتأمل أي لوحة في معرض فني. الأيقونة فن لاهوتي ذو طابع روحي يعكس حقيقة الالهية. هي تعبير تصويري عن موضوعات دينية تصوّر بوفاء ملامح اللاهوت الارثوذكسي فتبرز صورة المسيح او والده الاله او بعض القديسين او تذكرنا باحداث التدبير الخلاصي كايقونة الميلاد والقيامة، او تظهر حدثاً من حياة الكنيسة او من الكتاب المقدس كايقونة رفع الصليب او احد المجامع المقدسة.

الأيقونة ليست ايضاً رسماً فوتوغرافياً وليس همها الاول ان تظهر جمالاً مادياً بشرياً معيناً. لذلك فان وجه السيد مثلاً يختلف من ايقونة الى اخرى ومن مكان الى آخر ولهذا ايضاً تبدو الخطوط في الأيقونة غريبة بعض الشيء لانها تتبع المقاييس المعروفة. الأيقونة لا تبغي ان تقدم لنا الرسم الفوتوغرافي للسيد او للقديس المعين، بل تنقل للمؤمن ملامح اللاهوت في وجه السيد كالحكمة والتواضع الخ...

كذلك لا تركز الأيقونة على الجمال البشري (العيون الزرقاء والخدود الوردية...) لان الأيقونة تبغي السمو الروحي للمؤمن فتنتقله الى ما هو ابعد من الخشب واللون ولا تريده ان ينتهي بالامور الثانوية. كذلك لا تتبع الأيقونة المقاييس البشرية التي تعتمد على التناسق. فالقديسون في الأيقونات الروسية طويلو القامة، واصابع ايديهم طويلة وذلك دلالة على تشوقهم الى ملء قامة المسيح. اما الأيقونة الانطاكية فتصوّر القديسين قصيري القامة دلالة على التواضع.

احد اهداف الأيقونة هو التربية او التعليم. فالأيقونة بمثابة الانجيل المرسوم. هي فن يشرح من خلال الريشة الكلمة المقدسة وتعاليمها، لذلك تلعب دوراً تعليمياً مهماً في ليتورجية كنيستنا المقدسة اذ تبرز حضرة الله بين الناس. ففن التصوير المقدس يتقف شعب الله اذ يوصل تعليم الكنيسة وما تؤمن به فتترسخ خبرة القديسين الروحية فنياً حين نراها مصورة امامنا. هدف الصلوات والطقوس الكنسية جعل التدبير الالهي حاضراً "اليوم" معنا، لذلك نرتل كل يوم احد "اليوم صار الخلاص للعالم" او "اليوم يوم القيامة" لكي نحيا الحدث ونعيشه كل لحظة من حياتنا. كذلك هدف الأيقونة الموضوعية في الكنيسة تذكيرنا بالاحداث الخلاصية وجعلنا نحياها من جديد. انها تدفعنا الى ان نحيا الملكوت منذ اليوم عندما نشاهد صور القديسين الذين نالوا اكليل الظفر ودخلوا في النور الالهي الذي نسعى نحن اليه كمسيحيين في كل لحظة من لحظات حياتنا. في هذا السياق يقول القديس يوحنا الدمشقي: "ان لم يكن لدي

كتاب فاني اذهب الى الكنيسة ... فان الرسوم تجعلني مفتوناً كما تفعل الارض المعشوشبية  
والمزهرة فتحرك مجد الله في روعي".

تحاول الايقونة اذاً افهامنا بالوسائل الحسية المرئية سر التدبير الخلاصي وهذا هو  
ايضاً فحوى الليتورجيا. من هنا اهمية الايقونة في طقوسنا وصلواتنا. انها تجعل امور  
الماضي والحاضر والمستقبل مكثفة سرىا امامنا كأنها حية اليوم، وتجعل المؤمن يحيا الملكوت  
منذ الآن.